حكاية التخيلات عن الصوفى صـاحب الكرامات

تأليف

رضـــــــــا البطاوى

(وارث علم النبوة)

٢٠٢٠ م

الصوفى

تعودت منذ سن العاشـرة على مصـاحبة أبى فى رواحـــه ومجيئـــه فى البلـــدة والبلـــدات المجـــاورة كـــان يصـــحبنى للمساجد للصـلاة وسـماع الـدروس بعـد العصر بشكل شبه يومى وكنت أصـاحبه لما يسمونه مجـالس الـذكر وللمجـالس فى قصور الأمراء لسماع الشعر وغـيره وفى يـوم جـاء العم إسـماعيل العـدنى للـبيت وجـالس أبى طـويلا ولمـا دخلت عليهم ملقيا السلام فردوا بأحسن منــه ثم قـــال العم لأبى هـــل تـــذهب مـــع للصوفى الذى حدثتك عنه فـرد إن شـاء اللـه بعـد العشـاء الليلـة وفى المسـاء خـرجت مـع أبى للصـلاة وبعـد الصـلاة اصـطحبونى معهم وسـرنا كثـيرا حـتى خرجنا للمزارع وفيها وجدنا عشة وجدنا فيهـا رجلا عليـه مرقعـة من الصـوف فقال له العم السلام على مولانا سـهل فسـكت الرجـل قليلا وقـال السـلام والرحمـــة لـــك ولمن معـــك تفضـــلوا بـــالجلوس فجلســـنا على قش يغطى الأرض حول العشة فقال العم صـديقى محمد جاء ليسـمع كلامـك فى التصـوف فقـال الرجـل إنــه كلام الحــق وليس

كلامى فسـأله أبى مـا التصـوف يـا مولانـا ؟فقـال قـال مولانـا الجريـرى الدخول فى كل خلق سنى والخروج من كـل خلـق دنى وقـال سـيدنا الجنيـد أن تكون مـع اللـه بلا علاقـة وقـال شـيخنا رويم استرسال النفس مـع اللـه تعـالى على ما يريد وقال سادتنا تصفية القلب عن موافقـة البريـة ومفارقـة الأخلاق الطبيعيـة وإخمـاد الصـفات البشـرية ومجانبـة الـدواعى النفسـانية ومنازلـة الصـفات الروحانيـة والتعلـق بعلـوم الحقيقـة واتبـاع الرسـول (ص)فى الشريعة وقال شيخنا عمـرو بن عثمـان المكى أن يكـون العبـد فى كـل وقت مشغولا بما هو أولى فى الـوقت وقـال أحـد أبـدالنا أولـه علم ووسـطه عمـل وأخره موهبة من الله تعالى وقـال أحـد سادتنا ذكر مع إجتماع ووجد مع إستماع وعمل مع إتباع فقال أبى معظم هذا يا مولانا يعنى الإسلام ومن ثم فالتصـوف هـو الإسـلام فـامتعض الرجـل وقـال التصوف مبنى على الإسلام ولكنه ليس الإسلام فقلت أنا للرجل إذا لم يكن كله الإسـلام فهـو جـزء من الإسـلام فقـال أبى سـائلا ومـا صـفات الصـوفية ؟فـرد قائلا :

قـــوم همـــوهم باللـــــه قـــد علقت
فما لهم همم تسمو إلى أحــد
فمطلب القـــوم مـــولاهم وســـيدهم
يا حسن مطلبهم للواحد الصمد
مـــا إن تنـــازعهم دنيـــا ولا شـــرف
من المطاعم واللذات والولــد
ولا للبس ثيــــاب فائـــــــق أنـــــق
ولا لروح سرور حل فى بلــد
إلا مســـــارعة فى إثـــــر منزلـــــــة
قد قارب الخطو فيها باعد الأبد
فهم رهـــــائن غـــــــدران وأوديـــــة
وفى الشوامخ تلقاهم مع العـد

فقلت ولكن ســيدك الجنيــد قــال فى تعريفه أن تكون مع الله بلا علاقة وأنت هنا قلت قـوم همـوهم باللـه قـد علقت فهنا علاقة فقل لى هـل لهم علاقـة أم لا ؟فقـال أبى اصـمت يـا محمـد واتـرك مولانــا يحــدثنا فتناســى الرجــل كلامى وقال الصوفى يا أحباب هو القــائم فى الأشــياء بــإرادة اللــه تعــالى لا بــإرادة نفسه فلا يرى فضـيلة فى صـورة فقـر ولا فى صورة غنى وإنما يرى الفضــيلة فيمـا يوفقـه الحـق فيـه ويدخلـه عليـه ويعلم الإذن من الله تعالى فى الـدخول فى الشىء فقاطعته قائلا إذا فهو نــبى يوحى الله له فالعلم بــالإذن من اللــه لا يكون إلا وحيا فنهـرنى أبى فقـال لقـد

علمك ابن عبـد العليم الجـدال فاسـكت فقال الصـوفى وقـد يـدخل فى صـورة سعة مباينة للفقر بإذن من اللـه تعـالى ويرى الفضيلة حينئذ فى السـعة لمكـان الإذن من اللـه فيـه فلم أسـتطع صـبرا على كلام الرجـــــــــــل فقلت قلت إن الفضيلة لا يراهـا الصـوفى فى كـل من الفقر والغـنى ثم قلت ويـرى الفضـيلة حينئــذ فى السـعة فهنــا الفضــيلة فى الغنى وكل هذا متناقض فنظــر لى أبى نظرة غضـب وقـال قم وانصـرف بعيـدا عن هنـــا فــأطعت وســرت مســافة ثم اسـتندت لشـجرة بظهـرى لا تبعـد أكـثر من ثلاثين ذراعـــا من مكـــانهم ووقفت أسمع الكلام الذى كان يـأتى لمسـامعى دون إذن مــــــــنى وإن كنت أرغب فى سـماعه وكـان قـول الرجـل لهم بعـد انصــرافى من مجلســهم :الصــوفى يــا أحبــاب من صــفا من الكــدر وامتلأ من الفكـــر وانقطـــع إلى اللـــه من البشـــر واستوى عنده الذهب والمدر فقلت فى نفســى وكيــف ينقطــع الإنســان عن البشر؟لـو فعـل لعصـى اللـه فى قولـه "وتعاونوا على البر والتقوى "فالتعـاون لا يحدث إلا بإشتراك المسلمين معا ولو انقطع لعصى قولـه "واسـعوا إلى ذكـر اللـه"فهنـا صـلاة الجمعـة واجبـة ولـو

انقطــع لعصــى قولــه "فانتشــروا فى الأرض وابتغـــــــوا من فضــــــــل اللــه"فالإنقطـاع يعـنى عـدم الإنتشـار وعـدم إبتغـاء فضـل اللـه بالسـعى وراء الـــرزق وعنـــدما انتهى أبى والعم من مجالسة الصوفى عوجـا على وقـال لى أبى ما فعلته ليس من الأدب فى شـىء فقلت له يا أبى إنكار المنكـــر من الأدب ولو سكت عن قول الحق فأنا كما قيــل شــيطان أخــرس واللــه يقــول "ولتكن منكم أمـة يـدعون إلى الخـير ويـأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر "

فى الصــباح وفى الســاعة الثانيــة من شــروق الشــمس ذهبت للمدرســة حيث الفقيه عبد الحق بن عبد العليم وبعد أن ألقى علينـا بعض الـدروس بـدأت فـترة النقاش الحر فسـألته مـا حكم الإسـلام فى التصوف فقال يا بـنى لا يوجـد فى الإسلام شىء اسمه صـوفية أو سـلفية أو زهـاد أو فقـراء أو سـنية أو شـيعية فكـــل هـــذه الألفـــاظ إذا كـــانت تعـــنى المسلمين فأهلا وسهلا بها وإن كانت لا تعــنيهم فهى ليســت من الإســلام فى شـــىء فقلت يعـــنى إن الإســـلام هـــو الصــوفية هــو الســلفية هــو الزهــد هــو السنة هو دين الشيعة هـو دين الفقـراء إلى اللـــه فســـألته فمـــا رأيـــك فى

التســـميات ؟فأجــاب إذا كـــان الإســـم الصــوفية نســبة للبس الصــوف فليس لبس الصــوف واجبـــا على المســلمين ومن ثم فإطلاق الكلمة على المسلمين ليس فى محلهــا لأنهم يلبســون قطنــا وكتانا وغيرهم وإذا كان الإسم السلفية نسبة للسلف دون تحديد فإطلاقها خطأ فلابــد أن يكــون الســلف محــددا وهــو الرسل وأتباعهم فقلت وما مـرد كلمـة الصوفية أيضا ؟فقال الفقيه قالوا إنهــا نسبة للصف الأول أمام الله وكــذب من قال هـذا فالصـف الأول هم المقربــون الســـابقون وهم المجاهـــدون لقولـــه بسورة النساء "فضـل اللـه المجاهـدين بـــأموالهم وأنفســـهم على القاعـــدين درجـــة "ومعظم المتصــوفة قعــدة عن الجهـاد الحـربى فضـلا عن قعـود كثـير منهم عن الســعى وراء الــرزق فكيــف يكونون فى الصف الأول ؟ثم تابع كلامه وقالوا نسبة لأصحاب الصـفة فى عهـد النبى (ص)وقد ذكروا أن هذا لا يستقيم من حيث الإشــــتقاق اللغـــوى زد أنهم كانوا يعملـون مـتى سـنحت لهم فرصـة السـعى وراء الــرزق وكــان كثـير منهم يجاهـدون فى ســبيل اللــه وقــالوا أنــه نسبة لصفاء النفس من الذنوب والآثـام بطاعة حكم الله فى الليل والنهــار وإن

كـان الإشـتقاق اللغـوى لا يسـمح بهـذا أيضا فقلت يا معلم وهل يكون المسـلم فقـيرا ؟فضـحك وقـال لكلمـة الفقـراء فى القـرآن معنـيين الأول الخلـق كلهم مصـداق لقولـه بسـورة فـاطر "يـا أيهـا الناس أنتم الفقراء إلى اللـه "ومعناهـا المحتاجون لما عند الله من أنواع الرزق المختلفـــة والثــانى العجــزة وهم أولى الضــرر الـذين لا يسـتطيعون ضـربا فى الأرض وهم الــذين يعجـزن عن الحركــة بسبب ما أصيبوا به فى سـبيل اللـه من عاهـات وجراحـات وفيهم قـال تعـالى بسورة البقرة "للفقراء الـذين أحصـروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضــربا فى الأرض يحســـبهم الجاهــل أغنيـــاء من التعفـف تعـرفهم بسـيماهم لا يسـألون الناس إلحافا "وهم المستحقون للزكـاة وهى الصـــدقات وفيهم قـــال بســـورة التوبة "إنما الصدقات للفقراء"فقلت له إذا المسـلم لا يكـون فقـيرا إلا إذا كـان عـاجزا فهـز رأسـه وقـال نعم فسـألته وهل يكون المسلم زاهدا فضحك وقـال جـاءت كلمـة الزاهـدين بقولـه بسـورة يوســف "وكـــانوا فيـــه من الزاهـــدين "ومعناها القـانعين الراضـين فالسـيارة الـذين بـاعوا يوسـف(ص)كـانوا راضـين بالسعر الذى باعوه به ومن ثم فالزاهــد

هو الراضى بقضاء الله وليس الحارم نفسه من متاع الدنيا الحلال وزينتها لأن من حرم زينة وهى متاع الله الحلال فقد كفر وفى هذا قال تعالى بسورة الأعراف "قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق"وقد عاتب الله نبيه (ص)لأنه حرم على نفسه شيئا طيبا حلالا فقال بسورة التحريم "يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك "ومن ثم من قال أن الأكل والشرب واللبس الحلال والجماع الحلال من غير سرف حرام كافر لأنه حرم ما أحل الله فقلت وقد قال عقلاء بنى إسرائيل لقارون "ولا تنس نصيبك من الدنيا "فالمسلم لابد له من أن يتمتع بما أحل الله إن وجده فى غير سرف ولا كبر ثم سكت فترة وقلت وهل يكون المسلم جوعيا ؟فأغمض عينيه وقال يا بنى من المضحكات أن يجيع الإنسان نفسه والطعام موجود لو أراد الله أن يجيع المسلمين لفرض الصوم عليهم طول السنة ولكنه فرضه شهرا واحدا ليس بقصد التجويع وإنما بقصد تدريب الكل على جو الجهاد حيث الجوع والظمأ وعدم الجماع ولذا فكل من يمنع نفسه من الحلال هو محرم لما أحل الله ولو عقل الجوعى لعرفوا

أن الأكـل أكـثر ثوابـا فكـل أكلـة بعشـر حسنات فلـو أكـل ثلاث مـرات لأخـذ 30 حسنة بينما لو صام سيأخذ عشرة فقط مصداق لقوله بسورة الأنعـام "من جـاء بالحسـنة فلـه عشـر أمثالهـا" فحـتى قولهم "وأجزى به "يعنى أثيب عليه ولا يوجـد فى القـول مـا يـدل على الثـواب المحـدد وفى قـولهم عنـد أبى داود أن الصـوم بعشـر حسـنات فسـألته وهـل يكـون المسـلم شـكفتيا ؟فقـال لا فالسكن فى الشكفت وهو الغار وحـتى الصوامع والبريـة محـرم لأن اللـه جعـل للمسلمين بيوتا فقال بسورة النـور "لا تدخلوا بيوتا غـير بيـوتكم "وقـال "ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حـرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت أبـائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخـواتكم أو بيـوت أعمامكم أو بيـوت عمـاتكم أو بيـوت أخـوالكم أو بيـوت خـالاتكم أو مـا ملكتم مفاتحـه أو صـديقكم "ومن ثم فالمسـلم لابـد أن يعيش فى مسـكن وسـط ناسـه وأمـا الخلـوة والإعـتزال فلا يحققـان قولـه تعـالى بسـورة المائـدة "وتعـاونوا على البر والتقوى "فالمع تزل لا يتعاون مـع إخوانه ومن ثم فهـو عاصـى لأمـر اللـه

ولا يحقق قولـه تعـالى بسـورة الجمعـة "يا أيها الذين أمنوا إذا نودى للصلاة من يـوم الجمعـة فـذروا الـبيع واسـعوا إلى ذكر الله "فـالمعتزل لا يطيـع أمـر اللـه هنا لصلاة الجمعة كما أنه قد عصى الله بالزواج وتربية الأولاد حـتى يـدعوا اللـه "وقل رب ارحمهما كمـا ربيـانى صـغيرا "فقلت إذا فكل من يعتزل كـافر فقـال لى ليس كل معـتزل النـاس كـافر فمن اعتزل دين القوم الخاطىء ليس كـافرا كمــا فعــل إبــراهيم (ص)عنــدما قــال لقومه "وأعتزلكم ومـا تـدعون من دون الله وأدعوا ربى عسـى ألا أكـون بـدعاء ربى شــقيا "ومن ثم فالمســلم الــذى يعتزل الناس للقيام بمهمـة نافعـة لهم مثل التفكير فى اختراع يرد كيد الأعداء أو ينفعهم لا يكــون كــافرا واعتزالــه النـاس يكـون مؤقتـا بمعـنى أنـه لبعض الــوقت ولا يمنعــه هــذا الإعــتزال من شهود صلاة الجمعة وغيرها من فـروض التجمـع فقلت يـا مولانـا وهـل الخلـوة مثل الإعتزال فرد الخلوة غير الإعـتزال وهى فى القـــرآن على نـــوعين الأول الإعتكــاف فى المســاجد فى رمضــان لمن أراد وفيهــا قــال تعــالى بســورة البقـرة "ولا تباشـروهن وأنتم عـاكفون فى المسـاجد"والثـانى القيـام الفـردى

وهو الإختلاء بالنفس فى مكـان مـا قـد يكون البيت أو خارجه للتفكير فى الحق أو الباطل للوصول للحق وفى هذا قال تعـالى بسـورة سـبأ "قـل إنمـا أعظكم بواحدة أن تقومـوا للـه مثـنى وفـرادى ثم تتفكروا "ولقراءة القرآن كما يقـول بسورة المزمل "إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلــثى الليــل ونصــفه وثلثــه وطائفــة من الــذين معــك واللــه يقــدر الليل والنهار علم أن لن تحصـوه فتـاب عليكم فـاقرءوا مـا تيسـر من القـرآن "وهو لمن أراد من المسلمين فضـحكت فى نفســى وقلت إذا يـا مولانـا حـتى الخلوة تكون داخل أماكن تواجـد النـاس وليس فى الفضـــاء والخلاء فابتســـم وقـال من عـرف أنـه لا يخـاف إذا خـرج بمفـــرده للفضـــاء والخلاء للتفكـــير أو قــراءة القــرآن يبـاح لـه الخلـوة خـارج المساكن وأما من يعرف أنـه قـد يـدخل فى قلبه الخوف مما تصـوره لـه نفسـه من أشــباح الظلام أو ممــا يتواجــد فى تلك الأماكن من هوام وبوم وخفـافيش وغيرهــا فمحــرم عليــه الخلــوة خــارج المسكن فصمت الفقيه برهـة وسـألنى ولكن لماذا كل هذه الأسئلة يا عبد اللــه بن محمد؟فابتسـمت وقلت لـه البارحـة ذهبنا أنا وأبى بصحبة صديق لأبى لرجل

صوفى وكدت أشتبك معه واختلفت مــع أبى بسبب ما كان هذا الرجل يقوله فى تعريـف التصـوف فقـال الفقيـه إذا قم إلى أبيــك الآن واعتــذر لــه عن خلافــك معــه فامتعضــت وقلت للرجــل ولكــنى أكنت أنكر منكرا فكيف أعتذر عن عمــل صـــالح ؟مـــد الفقيـــه يـــده وربت على ظهرى وقال الإعتذار عن خلافك لأبيــك ليس عن إنكـــار المنكـــر وإنمـــا على مخالفــة أمــره بالســكوت حــتى ينهى الرجل حديثه وبعد هذا لا تتكلم الآن قم وانصــــرف فقمت من مجلســــى وقلت السلام عليكم .

ذهبت للــدار وفى نفســى صــراع يــدور بين جانبين جانب يقــول اعتــذر وجــانب يقول لا تعتذر ولما دخلت الدار وجدتنى أســرع لأبى قــائلا اعفــو عــنى يــا أبى بسبب ما حدث البارحة فأخذنى أبى فى أحضــانه وقــال لى قــد عفــوت عنــك فســألته لمــاذا تــذهب وصــاحبك لأنــاس وأنت لا تصدق ما يقولون ؟أجاب يا بنى لم يعــرف الباطــل من لم يتعــايش مــع أهله فقلت تقصد أننا لا نعرف الحــق إلا إذا علمنــا الباطــل فقــال لا قصــدت أن الباطــل يظهــر لنــا من خلال معرفتنــا بالحق والباطل متغير الأشــكال ومن ثم لابــد لنــا من معرفــة الأشــكال الجديــدة

حـتى نحـذر النـاس منهـا بعـد معرفتهـا ،أردت أن أنصـرف فـوقفت ولمـا بـدأت الخطوة الأولى قال والدى ما رأيـك لـو ذهبت معى لمجلس وجــــد وســــماع ؟ فرددت أخشـى ألا أصـبر على مـا يقـال فأسبب لك حرجـا وأظهـر أمـام النـاس بمظهر الإبن العاق لوالده فضحك وقال رحم اللــه امــرىء عــرف قــدر نفســه فسكت برهة وقال لابد أن تعود نفســك على الصبر عنـد وجـود الباطـل الكلامى حــتى تقــدر على مواجهتــه مواجهــة صحيحة ولن يتـأتى لـك هـذا إلا بسـماع ورؤيـة الباطـل والسـكوت عليـه حـتى ينتهى ثم تنكره وبعد أيـام صـحبنى أبى ومعنـا عمى إسـماعيل العـدنى لمجلس فى تكية الصوفية فى البلدة ولما دخلنا وجــدنا قومــا يفترشــون أرض المكــان ثيابهم أكثرها مرقعات من الصوف ولها رائحــة عطنــة وأقلهم من يلبس ثيابــا عادية وفى مكـان عـالى نوعـا مـا جلس القوال ومعه آلة موسيقية وبدأ ينشد :

ســرت بأنــاس فى الغيــوب قلــوبهم
فحلوا بقرب الماجد المتفضل

عراصــا بقــرب اللــه فى ظــل قدســه
تجول بهم أرواحهـم وتنقل

مــــواردهم فيهــــا على العــــز والنهى
ومصدرهم عنها لما هو أكمل

تـــروح بعـــز مفـــرد من صفاتــــه
وفى حلل التوحيد تمشى وترفل
ومن بعــد هــذا مــا تــدق صفاتـــه
وما كتمه أولى لديه وأعـدل
ســأكتم من علمى بــه مــا يصــونه
وأبذل منه ما أرى الحق يبـذل
وأعطى عبــاد اللــه منــه حقــوقهم
وأمنع منه ما أرى المنع يفضـل
على أن للـــرحمن ســـرا يصونـــه
إلى أهله فى السر والصون أجمل
وكلما نطق الرجل بيتا تعالت الصـيحات يـا حـق   000يـا هـوو 000أكرمـك اللـه 000زدنـا 000اللـه الله 000بركاتـك يـا سـيدنا 000وهم يسـمعون فقــط ولا يفكـــرون مثلهم مثـــل بقيـــة النـــاس يعجبــون بالألفــاظ ويرددونهــا دون أن يفهمـوا معناهـا وهنـا كـانت القصـيدة كفـرا فـالقلوب الـتى على الأرض حلت عند الله- مـع أن اللـه ليس فى مكـان – بقربه ولا طريقة لهذا حتى على فــرض أن الله فى السماء – وهو فرض محـال- والقائــل يكتم علمــه عن النــاس وهــو علمه بالله مع أن اللـه يطـالب المسـلم بنشر علمه للمسلمين وأنشد القوال:
نهـانى حيـائى منـك أن أكشـف الهـوى
وأغنيتنى بالفهم منك عن الكشف

تلطفت فى أمــرى فأبــديت شــاهدى
إلى غائبى واللطف يدرك باللطف
تــــراءيت لى بــالغيب حـــتى كـــــأنما
يبشرنى بالغيب أنك فى الكـف
أراك وبى من هيبـــتى لـــك وحشـــــة
فتؤنسنى باللطف منك وبالعطف
وتحـــيى محبـــا أنت فى الحب حتفـــه
وذا عجب كون الحياة مع الحتف
وهى أبيات كلها خبل فما معنى فأبديت شاهدى إلى غائبى فالإنسان كله شاهد ليس منــه غــائب ورؤيــة القائــل للــه "تـــراءيت لى "وأراك "مـــع أنـــه قـــال لموسى(ص)"لن ترانى "ومـا معـنى أن الحياة مع الحتـف ؟أليس هـذا جنونـا أن تكون الحياة بجانب الموت فى المحب ؟ إن المحب حى لا يلقى حتفـــه بـــدليل قولـــه "اســتجيبوا للـــه وللرســول إذا دعاكم لمـا يحـييكم "وحيـاة المحب هى فى الجنـة أى الـدار الأخـرة كمـا قـال "وإن الـدار الأخـرى لهى الحيـوان "أى الحياة الحقة السعيدة وقال القوال :
كـــانت لقلـــبى أهـــواء مفرقـــــة
فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائـى
فصــــار يحســـدنى من كنت أحســـده
وصرت مولى الورى مذ صرت مولاى
تــــركت النــــاس دنيــــاهم ودينهــــم
شغلا بذكرك يا دينى ودنيـــاى

قلت آه من الكفـــر رؤيـــة العين للـــه ، الإتحـاد بالله حـتى أصـبح العبـد والإلـه واحد فالعبد أصبح هو الله مولى الـورى وإتحـاد الكـل بالله حـتى صـار الحاسـد محســـودا والمحســـود حاســـدا ثم ختم القوال الوصلة الأولى بقولهم :

أحبـــــــك حبـــــــين حب الهـــــــوى
وحبا لأنــــك أهل لذاكا

فأمـــــا الـــــذى هـــــو حب الهـــــوى
فشغلى بـذكرك عمن سواكا

وأمـــــا الـــــذى أنـــــت أهـــــل لـــــه
فكشفك لى الحجب حتى أراكا

فلا الحمـــــــــــــــد فى ذا ولا ذاك لى
ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

قلت كلامها كفر فهى الله يكشـف لهـا الحجب ولم يكشـــف لموســـى (ص)أى حجاب ولما أنهى القوال الوصلة الأولى قلت لأبى إيش رأيك ؟فقال كفر اختلط بإسـلام فاسـمع ثم فى الـبيت نتحـدث وفى أثنـــاء راحـــة القـــوال وزع على الحضور شراب اللوز البارد فشربوا منه ومنهم من اســـتزاد الســـقاة ثم بـــدأ القوال ينشد :

لا تخــــدعن فللحــــبيب دلائــــــل
ولديه من تحف الحبيب وسائل

منهـــــا تنعمـــــه بمـــــــــــر بلائـــــه
وسروره فى كل ما هو فاعل

فـــالمنع منــــه عطيــــة مقبولـــــــة
والفقر إكــرام وبر عاجل
ومن الـــــدلائل أن تــــرى من عزمــــه
طوع الحبيب وإن ألح العاذل
ومن الـــــدلائل أن يـــــرى مبتســـــما
والقلب فيه من الحبيب بلابل
ومن الـــــدلائل أن يـــــرى متفهمــــــا
لكلام من يحظى لديه السائل
ومن الـــــدلائل أن يـــــرى متقشــــفا
متحفظا من كل ما هو قائل
ومن الـــــدلائل أن تـــــراه مــــــشمرا
فى خرقتين على شطوط الساحل
ومن الـــــدلائل حزنـــــه ونحيبـــــــه
جوف الظلام فما له من عاذل
ومن الـــــدلائل أن تـــــراه مسافـــــرا
نحو الجهاد وكـل فعل فاضل
ومن الـــدلائل زهـــده فيمــــا يـــــرى
من دار ذل والنــعيم الزائل
ومن الـــــدلائل أن تـــــراه باكيـــــــا
أن قد رأه على قبيـح فعائل
ومن الـــــدلائل أن تـــــراه مسلمـــــا
كل الأمور إلى المليك العـادل
ومن الـــــدلائل أن تـــــراه راضيـــــا
بمليكه فى كل حكم نــازل
ومن الـــــدلائل ضــــحكه بين الــــورى
والـقلب محزون كقلب الثاكل

قلت هـذا والله أفضـل ممـا سـبق وإن كـان لا يخلـو من مخالفـة للقـرآن حيث سمى الفقر إكرام وبـر عاجـل ومـا هـو إلا ابتلاء كمـا قـال بسـورة البقـرة "ولنبلونكم بشـىء من الخـوف والجـوع ونقص من الأموال والأنفس والثمـرات وبشـر الصـابرين الـذين إذا أصـابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنـا إليـه راجعـون "وجعل المنع عطية وهو تناقض فكيـف يكون المانع للشىء معطيا إياه بمنعه ؟

وأنشد القوال :

عجبت لمـن يقـول إلفى
وهل أنسى فأذكر ما نسيت
أمـوت إذ ذكرتـك ثم أحيـا
ولولا حسن ظنى ما حييت
فأحيـا بـالمنى وأمـوت شـوقا
فكم أحيا عليك وكم أموت
شـربت الحب كأسـا بعـد كـأس
فما نفد الشرب وما رويت
فليت خيالـه نصـب لعيـنى
فإن قصرت فى نظرى عميت

وهو كلام كله تخريـف فـذكر اللـه مـوت مع قولـه "اسـتجيبوا للـه وللرسـول إذا دعاكم لما يحييكم "فذكر اللـه حيـاة من ضمن الدعوة وجعل للـه خيـال سـبحانه وتعالى عن هذا .

سـمعت من أبى مـا زاد اسـتغرابى من نية صاحبه إسماعيل أن يتتلمـذ على يـد سهل الصوفى وهو صاحب أبى ويسـمع منـه مـا يقـال فى التصـوف والصـوفية وقد طار صوابى مـنى وأنـا أراه يرتـدى الخرقة فلم أشـعر إلا وأنـا أعـرض عنـه ولا أرد السلام الذى ألقـاه على وأتركـه وأنا غاضـب لمكـان بعيـد وظللت أسـير حتى وصـلت لشـاطىء النهـر فجلسـت عليـــه ووضـــعت قـــدمى فى الميـــاه واسـتمررت أضـرب بهـا فى المـاء ثم غسـلت وجهى فأحسسـت براحـة فى قلـبى وأن غضـبى على العم بـدأ فى الزوال فقلت لنفسى :

كـان ينبغى أن تناقشـه لا أن تخاصـمه وتهجره ،كان ينبغى أن تبين له الصواب من الخطـأ بـدلا من أن تتركـه ينسـاق وراء هـذا الشـيخ وقمت من مجلسـى وذهبت للـبيت وبـدأت أتصـفح بعض الكتب فى مكتبـة أبى ولم أسـتطع القراءة بتركيز كانت عيناى تمـران على السطور مرور الكرام ولكن عقلى كـان بعيـدا يفكـر فى العم وقمت ودخلت حجـرتى واسـتلقيت على الفـرش ولم أستطع النوم عقلى متحير نفضت عنى الغطـاء وأسـرعت للخـروج من الـبيت ووجدت نفسـى تقـود جسـمى لـبيت أو

عشـــة ســـهل الصـــوفى خـــارج البلـــدة وعندما اقتربت منه ألقيت عليه السـلام فـرده باشـمئزاز فقلت لـه حـدثنى عن خـــرقتكم فقـــال الخرقـــة يـــا بـــنى هى إرتباط بين الشـيخ والمريـد وتحكيم من المريـد للشـيخ فى نفسـه قلت إذا هى علامة العبودية فابتسم وقال بل علامـة توقير الشيخ فالشيخ أعلم فمثلنا ومثل المريد كمثل العبد الصالح الخضر ومثـل موسى فقـد اشـترط على موسـى لكى يعلمه أن يطيعه طاعة عميـاء فقلت لـه ولكنهمـا لم يكونـا شـيوخا ولا مريـدين لأن الشـيخوخة لا تتفـق مـع العلم فقـد قـال تعـالى بسـورة النحـل "ومنكم من يـــرد إلى أرذل العمـــر لكى لا يعلم بعـــد علم شـيئا "فالإنسـان عنـدما يبـدأ فى الشيخوخة يبدأ فى نسيان العلم فكيـف يكون معلما ؟قال من لم يكن له أســـتاذ فإمامــه الشــيطان فقلت ضــاحكا كــان لليهود وللنصارى وللصابئين وللمجـوس ولغـــيرهم من الأمم أســـاتذة فهـــل هم على الحق لمجـرد وجـود أسـاتذة لهم ؟ فرد أتنكر وجوب وجود معلمين للناس ؟ فقلت إن المعلم قـــد يضـــل ولكن اللـــه جعل هناك معلما ثابتـا ليس من النـاس وهـــو كتـــاب اللـــه حـــتى يتحـــاكم المعلم والتلاميـذ لـه إن حـدث خلاف أو ضـلال

وفى هـذا قـال بسـورة الشـورى "ومـا اختلفتم فيــه من شــىء فحكمــه إلى الله" فقال يا بـنى إن الشـيخ فى أمـة محمـــد كـــالنبى فى بـــنى إســـرائيل فضــحكت وقلت حــتى الحــديث أنت لا تحسنه فالحـديث رغم أنـه لم يثبت فى النســبة للنــبى (ص)يقــول العــالم فى أمــتى كــالنبى فى بــنى إســرائيل"أو "علمـاء أمـتى كأنبيـاء بـنى إسـرائيل" فقـال سـهل إن الشـيخ يكـون متخلـق بأخلاق الله من معنى قـول اللـه تعـالى "ألا طال شوق الأبرار إلى لقـائى وإنى إلى لقـــائهم لأشـــد شـــوقا "ومن ثم فالمريد يكـون جـزء من الشـيخ كمـا أن الولد جزء من الوالـد بـالولادة الطبيعيـة فقلت له سأوافقك على كلامك رغم أن الله لا يشـتاق لأحـد لأنـه غـنى عن كـل شىء ومع هذا هل تعنى أن المريـد فى النهاية لابـد أن يسـاوى الشـيخ؟فأجـاب قائلا ليس كل المريدين فكمـا قـال ابن سـينا فى كتـاب الإشـارات "جـل جنـاب الحق أن يكون شرعه لكل وارد أو يطلع عليـه إلا الواحـد بعـد الواحـد "فضـحكت وقلت معـنى هـذا أن النـبى (ص)الـذى تقــول أن تصــوفك مبــنى على دينــه الإسلام كان كاذبا عنـدما أبلـغ الرسـالة أى الشـــرع أى الإســـلام لكـــل النـــاس

والشرع كما تقول لا يطلع أحد عليـه إلا قلة ودعنى أسألك من يحدد الشـيخ أنت أم من فقال الرجل الله فقلت نعم الله هو المحدد لكل شىء ومن ضـمنها أنـك تقول أنك شـيخ وفلان يقـول أنـه شـيخ وحـــتى أنـــا من الممكن أن أقـــول أنى شيخ ومع هذا لا تقدر على تكذيبى لأنى عند نفسى شيخ والشـيخ لا يكـذب لأنــه متخلق بأخلاق الله .

وجدت أنه لا فائدة من الجـدال مـع هـذا الرجل فعملت بنصيحة القائل لا تجـادل أحمقـــــا فقلت لـــــه الســــلام عليكم وانصرفت للـبيت وفى الطريـق قـابلت على بن بكـر الخـارجى فسـلمت عليـه فرد السلام وقال لى :لقد لبس صـاحب أبيك خرقة زرقاء فأخرجت زفـيرا حـارا من فمى وقلت هداه اللـه وإيانـا للحـق فقــال على يقولــون أن الخرقــة عنــد المريـــد الصـــادق حاملـــة ريح الجنـــة فقهقهت وقلت إنهـــا غالبـــا تحمـــل صاحبها للنار فهز على رأسـه وقـال ألا تنصحه بالبعد عن القوم الـذين هم على أنواع فمنهم أصحاب المرقعات والجـوع والـــذكر ومنهم أصــحاب ملأ الكـــروش والتنبلة والقعـود فى التكايـا والخوانـق فقلت له ونحن أيضـا بنـا عيـوب كثـيرة أولها أننـا سـمحنا بوجـود أمثـال هـؤلاء

في بلادنا الذين حرفوا الدين مع غيرهم مما سمح لغيرهم من أهل الأديان الأخرى بإحتلال بلادنا وتدمير الدولة الإسلامية منذ قرون ووضع على يده على كتفى وقال الإسلام بخير يا صديقى فنظرت لوجهه وقلت الإسلام بخير ولكن من يدعونه ليسوا بخير نفوسهم بعيدة عن طاعته مع أن نيات الكثير منهم خيرة

سرت أنا وعلى فى طريقنا لعمنا إسماعيل وفى الطريق سمعنا بوق الخطر يدوى وبعد قليل سمعنا المؤذنين على مآذن المساجد ينادون حى على الجهاد

على الفور اتجهت لبيتنا وانطلق على لبيتهم وأحضرت السيف والرمح والقوس والسهم وإنطلقت لأسوار المدينة فوجدت العسكر ومعهم بعض الأمراء الذين بدئوا بتوزيع العسكر والجند والمتطوعين على الأسوار وكان نصيبى أنا وبعض المتطوعين الجانب الشرقى للسور وبدأ أحد قادة المئات يلقى علينا النصائح :

لا تضربوا العدو بالسهام إلا عندما يقترب من مرمى سلاحكم من لم يجد سهما فليقذف برمح ومن لم يجد فليقذف بحجر، أى سلم يوضع على

السور اقلبوه بمن عليه من كان معه خرقة قديمة فليغمسها فى النفط ثم يشعلها ويضعها فى السهم ويقذفها على خيام العدو .
بعدها انصرف القائد لموضع أخر وبدأت أتفقد المكان فوجدت أن السور لن يتحمل الضربات القوية للمنجنيق فى بعض المواضع وكانت الحسنة الوحيدة فيه هى كثرة الفتحات الصغيرة بطول وعرض السور فقد كانت تسمح لمن فى الداخل بضرب من فى الخارج وإيقاع أى سلم يوضع على الجدار وعدم دخول من بالخارج منها فقال زميلى فى الموقع عبد بن شكرى الأسوار لا تحمى المدن أبدا وإنما يحميها العدل ،إن من يدافع من خلف الأسوار يكون خائفا والخوف نصف الطريق للهزيمة فقلت هيا قل ما عندك فقال الحل هو الهجوم على العدو خارج الأسوار فهذا يشل تفكيره ويجعله يتخبط ولا يهاجم المدينة إلا بعد أن يقضى على المقاومة خارجها فسأل السيد بن عبد الحميد يعنى ماذا نفعل بالضبط ؟فقال عبد نكمن للعدو فى المزروعات ونقتل منهم من نقدر عليه ونحرق خيامهم إن استطعنا ونسمم دوابهم قلت أنا معك

وارتفعت أصـــوات عشـــرات الشـــباب فاتفقنـــــا على تقســـــيم أنفســـــنا لمجموعات تقوم كل مجموعة بعمل مـا وفى جنح الظلام خـــرجت مـــع عبـــد وخمسـة أصـدقاء ومعنـا بعض الأسـلحة وقـدور النفـط وسـرنا بين المزروعـات حوالى ساعتين فوجدنا معسـكرا للعـدو فى مرمى النظر والسلاح فسـرنا ببطء وكـل واحـد ببعـد عن الأخـر حـوالى 20 ذراعا ولما وصلنا لمكـان الخيـل لم يكن هنـاك سـوى خمسـة جنـود يحرسـونها فتكفل كل واحد منا بقتـل جنـدى وأمـا أنا وعبد فانطلقنا فقطعنا قيـود الخيـل من مرابطهـــا ثم وضـــعنا فى طعامهـــا ســما قــاتلا حــتى إذا أعادوهــا فــأكلت تمـوت وبهـذا يتعبـون من السـير ومن حمل ما كانت تحمله من مؤن وسلاح ثم جرينا بسرعة ولما تجمعنـا كـانت حركـة الخيـل وهى تجـرى فى كـل إتجـاه قـد أحـــدثت بعض الفوضـــى فى المعســـكر ومن ثم ذهبنا لجهة أخرى من المعسكر وسنحت لنا الفرصة فأشـعلنا النـار فى بعض الخـــرق المغموســـة فى النفـــط وقذفناها على الخيام فاشتعلت النيران فجرينا بأقصى سرعة نحو سور المدينة وانطلق خلفنا بعض جنود العدو ولكنهم لمــا وجــدوا أنفســهم قــد اقــتربوا من

المدينـــة عـــادوا أدراجهم خوفـــا من أن تكـــون هنـــاك كمـــائن تنتظـــرهم وقبـــل الفجـــر بقليـــل وصـــلنا ونحن فى غايـــة التعب لمكانـنـــا فى الســـور ففتح لنـــا الأصدقاء الباب فدخلنا ونحن نجر أرجلنا بصـــعوبة بالغـــة وألقينـــا أنفســـنا على الأرض جـــانب الســـور فنمنـــا ولم نشـــعر بشىء إلا والشمس تضرب بأشعتها فى أجســـامنا فقمنـــا وأحضـــروا لنـــا بعض الطعـــام فأكلنـــا وقمنـــا نتوضـــأ وصـــلينا وخـــرجت المجموعـــة الثانيـــة فى وقت الظهر على أساس الضـــرب فى وقت لا يمكن توقعـــه وهـــو وضـــح النهـــار كـــانت الفكرة أن يخرجوا بـــالحمير وعلى ظهـــر كـــل واحـــد غبيـــط فى أســـفله الســـلاح وفوقه الـــردم واقـــتربت المجموعـــة من معســـكر أخـــر للعـــدو وبـــدئوا العمـــل فى الحقـــول بعـــد أن أنزلـــوا الـــردم وأخفـــوا تحته السلاح وفى وقت تغيـــير الحـــراس بـــدأ ضـــرب المعســـكر بقـــدور النفـــط والسهام الحارقة وفى دقائق كانوا قـــد أنهـــوا مهمتهم وعـــادوا بســـرعة على ظهـــور الحمـــير وكـــانت الإصـــابات فى المجموعة خمسة رجـــال جرحـــوا بجـــروح مختلفـــة ولم يكن هنـــاك قتلى وفى الليل عاودت مجموعتنا العمل وخـــرجت مجموعات أخرى وفى هذه المرة أخـــذنا

الجانب الغربى للمدينـة حيث يوجـد تـل غـير مرتفـع كـان خلفـه معسـكر للعـدو وكـانت الخطـة هى تـدمير مـؤن العـدو وكـــان ســبيلنا لهـــذا هـــو لبس ملابس مشابهة لجنـود العـدو ولمـا اقتربنـا من مكان الحرس كـان معنـا زجاجـات خمـر أضفنا لهـا بعض المرقـد وبـدأنا نتمايـل ونتظاهر بالسكر أمام الحارسين فقـال أحــدهم لنــا ألم تخــافوا من أن يقتلكم أحــد خــارج المعســكر ادخلــوا ودخلنــا وناولناهم زجاجات الخمر دون أن نتكلم وظللنا نسير متظـاهرين بالسـكر حـتى توغلنا داخل المعسكر فبحثنا عن مكــان المـؤن حـتى وجـدناه وبجوارهـا كـانت تقف المنجنيقات وقد اقتربنـا من بعض الحرس وعرضنا عليهم الخمـر فشـربوا وبعد ساعة تقريبا كانوا قـد نـاموا ومن ثم بـدأنا فى إشـعال الحرائـق فى كـل مكان عند المـؤن والمنجنيقـات ومن ثم اختلــط الحابــل بالنابــل فى المعســكر وحـــاول كـــل واحـــد منـــا الخـــروج من المعسـكر كـل حسـب مقدرتـه وكـانت النتيجـة هـذه المـرة خسـارة اثـنين من المجموعـة استشـهدا وتكـررت عمليـات الكر والفـر ليـالى عـدة وكـل هـذا كـان بعيـدا عن قـادة العسـكر وعن الأمـراء الـذين لم يكونـوا يحسـنون سـوى ظلم

خلــق اللــه وإنفــاق الأمــوال على مــا يغضب الله وأما الحــرب الحقيقيــة فهم لا يخوضـونها إلا من وراء أسـوار فقـط ومن ثم كانت الهزائم تتوالى وكل يــوم كــانت مســاحة دولــة المســلمين تقــل وتنقص .

وفى إحــدى الليــالى ذهبت للــبيت مــع صديقى محمد بن عبد الـرحمن لإحضـار بعض الحاجات وبعد أن أحضرنا مـا نريـد سـرنا فى طريقنـا لمكاننـا فى السـور فقابلنــا ســهل الصــوفى الــذى هــرب لداخل المدينة لما وجد العدو النصـرانى يقـترب من عشـته فقلت لـه ألا تحضـر معنا للجهاد؟فقـال يـا بـنى كـل الثغـور مجتمعـــة لى فى بيت واحـــد والبـــاب مردود على فقال محمد لو كـان النـاس كلهم لزمـوا مـا أنت عليـه اختلت أمـور المســلمين وانهزمــوا فانتصــر عليهم الكفار فلابد من الجهاد فقال سـهل لـو كــان النــاس كلهم لزمـوا مـا أنـا عليـه وقالوا فى زواياهم على سجاداتهم الله أكبر انهزم الكفـار فتحـرك محمـد جهـة سهل لضربه فقلت له وأنا أدفعـه بعيـدا عنــه اتركــه الآن فلا حاجــة لنــا فى أذاه فقــال محمــد لمــاذا لم تتركــنى أقتلــه فنتخلص من المثبطين للعزائم الجالبين للهزائم ؟فضـحكت وقلت لا يجـوز قتـل

المجـانين فقـال محمـد هـل هـو ممن يقولـون ارتفـاع الأصـوات فى بيـوت العبادات بحسن النيات وصفاء الطويات يحـل مـا عقدتـه الأفلاك الـدائرات ؟لم أتمالـك نفسـى من الضـحك وقلت أنـه ممن يقولون أيضا من الناس أنـاس لـو ارتفعت حواجبهم لقضيت حوائجهم .
وصلنا للسور وبدأت المجموعات تتكـاثر وتتنافس فى الخروج لإحداث أكبر قـدر من الخسائر فى العدو وبدأ العـدو تحت ضغط المجموعات يتراجع وبعد أن كـان ينـوى الهجـوم على المدينـة بـدأ فى الإنسـحاب من مواقعـه تـدريجيا ورغم هذا كـان عـدد الشـهداء يـزداد كـل يـوم بسبب إقدام المجموعات على مهاجمـة العدو والإلتحام معه وبدأت المجموعـات تتجمـع وتلتقى مـع الفقيـه ابن عبـد العليم الـذى كـان يثـير فى نفوسـهم الرغبة فى الجهاد وهزيمة العـدو وبـدلا من أن يكتفى بإنسـحاب العـدو من محيـط المدينـة طـالبهم الفقيـه أن يهاجموا العـدو ليأخـذوا مـا اغتصـبه من المـدن الأخـرى وبالفعـل كـونت المجموعـات فـرق وبـدأت أسـاليب الهجـوم تتبـدل من مكـان لأخـر فمن التنكـر فى زى تجـار وزى قساوسـة ورهبـان للتنكـر فى زى الفلاحين وفى

زى جنـود العـدو إلى مهاجمـة القوافـل التجاريــة للعــدو وبــدأ المتنكــرون فى دخــول المــدن وتحــريض الأهــالى على طرد الغاصب وفتحوا أبواب الأسوار ليلا وبـــدأت المجموعـــات فى الخـــارج فى دخول المدن وقتل الأعـداء وبـدأ شـباب المدن فى تكوين مجموعات مماثلة وبدأ العدو يـتراجع ويـترك المـدن المغتصـبة وسعى ملكهم لتجميعهم لخوض معركــة كــبرى ضــد من ظنهم أنهم الطــاردين لجيشه وهم الأمـراء وعسـاكرهم وكـان بهذا يعيد السنة التاريخيـة الـتى توقـف مسيرة دولة على معركة ولكنـه لم يجـد من يخوض المعركة الفاصلة وإنما وجــد جيوشـا صـغيرة فى مواقـع عـدة كثـيرة وفى أزمنة متقاربة جعلت جيشه يــترنح ويفقـد توازنـه وفى النهايـة عـاد لبلاده بــالفلول الــتى تبقت من جيشــه يجــر أذيال الخيبة .

بعد إنتهاء حرب الملك النصـرانى حـدث مثلما يحدث فى كـل أو غـالب الأحـوال ســرق النصــر من أهلــه فبــدلا من أن يحكم الناس بلادهم بالعدل عـاد الأمـراء لظلمهم وفســادهم ونســبوا النصــر لأنفســهم وذهب الشــهداء للجنــة وهم من البسـطاء الغلابـة كمـا يقـال للجنـة ذهب دمهم هباء فى الدنيا لأنه لم يوجد

من يحافظ على إنجازهم ويحوله لصالح الكل وليس لصالح البعض ممن يجيـدون اللعب بمقــادير النــاس وكــانت أبــواق الأمراء باعة الأخرة محـبى الـدنيا تجـارا وصوفية وخطباء وشيوخ حتى أن واحــد منهم خطبنا يوما فى المسجد فقال :

ظلم الحكــام بــاب من أبــواب الرحمــة الإلهيــة ولــو أن أحــدكم ممن ينتقــد الحكـام صـار حاكمـا لبقيت لـه الرحمـة الإلهية وإن ظلم يا قوم إن أولى الأمــر منا لابد أن يظهروا فى كل الصور التى تحتــاج إليهــا الرعايــا فمن بــايع الإمــام فإنمــا يبــايع اللــه ومن ثم فالإمــام لا يظلم-وإن كان ظالمــا فى رأى النــاس- لأن الله لا يظلم أحدا .

جنــون فى جنــون وكمــا قــال شــيخهم حارت الحيرة فى الحيرة

إذا ما دمنا لسنا مظلــومين وهم ليســوا ظلمة فليس هناك شىء اســمه أساســا الظلم ومــا دام ليس هنــاك ظلم فليس هناك عدل

أردت قتــل الرجــل ولكــنى لم أســتطع فنحن فى المســجد وللمســجد حرمــة لا تنتهـــــك ومـــــع هـــــذا كظمت غيظى واستمررت أسمع خبلا منه حيث قال :

إن الله الحق كان كنزا مخبــوءا وأراد أن يعرف فخلـق الخلـق ليعرفـوه أى لـيرى

نفســه فيهم فصــاروا مــرآة لــه بحجم صورته الظاهرة فهم باطل أظهـر حقـا أو فهم حق أخفى باطلا والباطـل عـدم لا وجـود لـه إلا بالصـورة الإلهيـة الـتى يعكسها .
الله باطل كلام جميل والناس حـق كلام أجمل الله له صورة ظاهرة كلام جميــل ونحن صورة الله المعكوسة كلام أجمـل ماذا بقى من الجنون أقصـد الجمـال لم يقولوه ؟إذا الله كـاذب فى قولـه "ذلـك بأن الله هو الحـق"وقولـه "ليس كمثلـه شىء"وقولـه "لن تـرانى "وقولـه "ومـا ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمــون "وقولــه "الــذين إذا ظلمــوا أنفســهم "وقولـه "الـذى خلـق المـوت والحيـاة ليبلـوكم أيكم أحســن عملا "ومـا كـذب الله قط بل القوم هم الكاذبون فهنــاك ظلم وظلمــة واللــه ليس كخلقــه وهــو الــذى خلـق الخلـق للإبتلاء حـتى يمـيز الأحسن عملا وهو الحق أى الإلـه وحـده وغيره مخلوقات والكل حـق أى موجـود وليس أيا منهمـا بـاطلا أى عـدما وكـان لابد من مقاومة هذا الجنون وإلا أصبحنا كلنـا مجـانين أى كفـارا نسـتحق دخـول النار
ذهبت أبحث عن الفقيه ابن عبــد العليم كى يجمع شمل المجاهدين ونعمـل معـا

على هدم هـذا النظـام الظـالم الـذى لا يريـد أصـحابه التخلى عنـه ويسـتعينون على إبقــاءه موجــودا بكــل الوســائل المتاحة أمامهم قتل وسرقة واغتصــاب واختلاس 000طـــــال زمـــــان البحث فالرجـــل لا أثـــر لـــه فى بيتـــه ولا فى مجلس علمه ولم يره أحـد من مـدة كـل من قابلتـه من تلاميـذه وأصـحابه قـالوا إن أخـــر العهــد بــه كــان أيــام الجهــاد وفكـرت وظننت ظنونـا عـدة ظن منهـا يقول إن الله أكرمه بالشهادة فهو الآن فى جنـــان الـــبرزخ الســـماوى يتنعم ويستبشـــر بمن خلفــه فى الــدنيا على دين اللــه وظن أخــر يقــول لقــد رحــل الفقيــه لبلــد أخــر ليكمــل رســالته فى تعليم النــاس دينهم وظن ثــالث يقــول لقـد قتلـه الأمـراء بعـد الجهـاد حـتى لا يتجمــع النــاس حولــه ويســتولون على الحكم وينصـــبونه أمـــيرا عليهم يحكم بالعـدل والقسـطاس وظن رابـع يقـول إنه فى السجن للسـبب السـابق نفسـه ،لم أقـــدر على تحديـــد أى ظن هــــو الحقيقـــة وكـــان أمـــامى طـــرق عـــدة للوصول للحقيقية وكـان على أن أسـير فيها كلها متى سنحت فرصة السير فى أى منهـا وكنت كلمـا قـابلت غريبـا فى البلدة سـألته هـل ذهب ابن عبـد العليم

عنـدكم وفى كـل مـرة كـان الجـواب لا فكنت أقول إنه رجـل فقيـه عـالم يعلم النـــاس دينهم فهـــل علمتم من خـــبره شيئا فكان الجواب لا

ذهبت لحفــارى القبــور ومن يقومــون بالدفن وسألتهم عن الرجل هـل دفنـوا جثته ؟فكـان الجـواب لم نـره لم ندفنـه وتصـــادقت مـــع حـــراس الســـجن فى المدينـة ودفعت لهم أمـوالا أخـذتها من والـدى وسـألتهم عن الرجـل فقـالوا لا نعرف الرجل وأدخلونى السجن وفتحـوا لى الزنازين وشاهدت من بداخلها كانت أجسامهم واهنة هزيلة وأنفسهم يائسة وفى النهايــة لم أجــد الرجــل ولكـــنى عــزمت على إخــراج هــؤلاء المســاجين الذين سـجنوا ظلمـا بسـبب معارضـتهم للأمـراء وسـمعت من بعض الحـراس أن الرجل قد يكـون قـد دخـل السـجن فعلا ومات أو دخـل وتم سـوقه لسـجن أخـر فى بلـدة أخـرى وسـألت الحـارس وأين سـجلات السـجن فضـحك وأجـاب ليس للسجن عندنا سجلات فما عندنا هو عدد المســـاجين وأمـــا الأســـماء وقضـــايا الأشـخاص الـتى سـجنوا من أجلهـا فلا نعرف عنها شيئا فنحن كما يقولون عبد المأمور قلت له بل عبد الآمر فالمـأمور عبد وأما الآمر فهو السـيد لأن المـأمور

هـو من يتلقى الأوامـر والآمـر هـو من يلقى الأوامر

لم أجد أمامى حلا لمشكلة الحق ونصره سوى أن أفعـل مـا كنت أريـد أن يفعلـه ابن عبد العليم لـذا سـعيت حـتى جمعت تلاميــذه وأصــحابه واتفقنــا على نصــر الحق وكانت الخطة هى معرفـة مـداخل وخارج قصور الأمراء ودار العسس ومــا يوجــد فيهــا ومــا عليهــا من حراســات وإطلاق سـراح المسـاجين لكى يكونـوا أعوان وإخوان لنـا فى أمرنـا ومن أجـل المعرفة بعضـنا عمـل فى القصـور فى أعمـال مختلفـة وبعضـنا عمـل بصاصـا للعسـس وبعضـنا الأخـر انضـم لحـرس السجن وبعضنا انضم للصـوفية وبعضـنا عمل لدى التجار الكبـار وكـان هـذا شـر لابد منه للنصـر وكـان سـر العمـل مـع هؤلاء هـو أن هنـاك تحالفـا بين الأمـراء والعســـس والحـــرس والتجـــار وبعض شــيوخ الصــوفية على اقتســام خــيرات البلاد وهذا التحالف بعضـه كـان ظـاهرا وبعضه كان خفيا وفى تلك الفـترة كنت أسافر للبلدات حول مـدينتنا مـرات كى ألقى بعض الإخــوان حــتى نــدرس مــا جمعنـــاه من معلومـــات عن القـــوم ونتعرف على ما يجب فعله ومرات كنت أتســقط أخبــارا عن ابن عبــد العليم

ومرات كنت أجمع بعض المال وأشــترى بـه سـلاحا نخفيـه لليـوم الموعـود وفى إحدى المرات شـاهدت وأنـا عائـد شـبح رجل ليس ببعيد عن الطريق كان يرتدى أسمالا باليـة وجسـمه هزيـل كأنمـا قـد خرج من قبر وشـعره طويـل قـد غطى ملامح وجهه والقذارة ظاهرة عليه وهو يسير وصدره ورأسه قـد انحنـوا للأمـام كأنه جائع أو به مغص سقت فرسى نحو الرجــل وإذا بى أجــده عمى إســماعيل العدنى فنزلت من على فرسى وحملت الرجـل عليـه كـان متعبـا منهكـا لدرجـة أنــنى قلت فى نفســى أنــه ســيموت لا محالــة بعــد قليــل وحــاولت أن أبقيــه متيقظا على الحصان ولكنه أغمي عليـه فسـقت الحصـان للـبيت وهنـاك أنـزلت الرجل مع أبى ومزقنا ملابسه وحممناه وألبسناه ملابس نظيفة بـدا لى كهيكـل عظمى يغطيه الجلد وكل هذا حدث وهو مغمى عليــــه ثم حملنــــاه للســــرير واستدعينا الطـبيب الـذى جـاء وشـخص حالتـه على أنـه خمـود وخمـول وإنهـاك عــام في الجســم من أثــر جــوع طويــل وأوصانا أن نسقيه سوائل على قدر مــا نقدر ثم نطعمه طعاما لينا هشا حتى لا تتأثر معدته لو أكل طعامـا عاديـا وأقـام والدى بجانب صاحبه وأمـا أنـا فباشـرت

أعمـال أبى وكنت أقـوم بمـا يجب على من أعمـال تجـاه اليـوم الموعـود وبعـد أسـبوعين بـدأ العم إسـماعيل يسـترد وعيه لفترات طويلـة ثم تحسـنت حالتـه وأصبح سليما معافى وعنـدما عـدت من سفرى لم أجده فى بيتنا فـأخبرنى أبى أنـه قـد عـاد لبيتـه وعملـه مـرة أخـرى فذهبت للبيت بعد العصر فوجدته جالسا فى رحبـة الـدار فقلت السـلام عليكم ورحمـة اللـه يـا عم إسـماعيل فقـام الرجـل واعتنقـنى وهـو يقـول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يـا ابن أخى شكرا لك على ما صنعته من أجلى قلت له لا شكر على واجب يا عم سألته مـاذا جعلـك فى تلـك الحـال المزريـة ؟أجـاب منـه إلى اللـه سـهل الصـوفى أضـلنى وأغـوانى فقلت كيـف ؟رد قـال لى أن الرسـول (ص)قـال من أخلص للـه 40 صباحا ظهـرت ينـابيع الحكمـة من قلبـه على لسانه وأن من أراد ينـابيع الحكمـة عليه أن يعتكف كموسـى (ص)40 يومـا فى الخلاء فلا يأكـل إلا خـبزا وملحـا يتنـاول كـل ليلـة رطلا وأن عليـه أن ينقص الكمية كل يوم بعضا حـتى يصـل إلى ربع رطل فى نهاية الأربعينية قلت وهـل صـدقته قـال فى البدايـة قلت إن الحـديث ليس فيـه ذكـر للأكـل قليلا أو

كثيرا فقال لى إن العارفين قــد جربــوا هذا فلم ينفعهم إلا قلة الطعام والمنام والكلام والإعتزال عن الناس فابتسمت وقلت إن الحكمة يا عم موجودة فى كل وقت تسـتطيع أن تسـتدعيها يـا حافـظ كتاب الله إذا قرأت كتـاب اللـه ومن ثم فليس الجوع طريقها ولا الإعتكاف قال إذا القرآن هـو الحكمـة فضـحكت وقلت قـال اللـه لنبيـه "ذلـك ممـا أوحى إليـك ربــك من الحكمــة "وقــال "وأنــزل اللــه عليك الكتاب والحكمة "وقـال "ويعلمكم الكتاب والحكمـة "فالحكمـة هى الـوحى المنزل هى كتاب الله فقـال لعنـة اللـه عليـه قعـد يحكى لى حكايـات تـبين لى فضــل الأربعينيــة وأنــنى ســأكون من أصـــحاب الكرامـــات قـــال لى أن أبـــا سليمان الخواص قال كنت راكبا حمــارا لى يوما وكان يؤذيه الـذباب فيطـأطىء رأسه فكنت أضرب رأسه بخشـبة كـانت فى يدى فرفع الحمار رأسـه إلى وقـال اضرب فإنك على رأسك تضرب قيل لــه يا أبا سليمان وقـع لـك ذلـك أو سـمعته فقال سمعته كما سـمعتك تتكلم وحكى أن جعفــر الخلــدى كــان عنــده فص لــه قيمـة وكـان يومـا من الأيـام راكبـا فى الســـمارية فى دجلـــة فهم أن يعطى الملاح قطعة وحل الخرقة فوقــع الفص

فى الدجلـة وكـان عنـده دعـاء للضـالة مجرب وكان يدعو بـه فوجـد الفص فى وسط أوراق كان يتصفحها والـدعاء هـو أن يقول يـا جـامع النـاس ليـوم لا ريب فيه أجمع على ضـالتي فضـحكت وقلت يـا عم عيبنـا أننـا نقـرأ القـرآن بلا فهم إننا نحفـظ الألفـاظ ولا نحفـظ المعـنى المراد فالمخلوقـات مثـل الحمـير تتكلم أى تنطــق ألفاظــا ولكنهــا لا تخــاطب النـاس كمـا قـال تعـالى "أنطقنـا اللـه الـذى أنطـق كـل شـىء "إنهـا تخـاطب بعضـها ولا يوجـد من يفهم لغاتهـا بعـد سـليمان(ص)لأنــه قــال كمــا حكى لنــا القرآن "رب هب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعــدى "ومن ملكــه فهمــه لحــديث الحيوانـات الـذى منـع عن كـل الرسـل (ص)بعده فقال العم مسـتغربا وحـديث الجمـل وحـديث حـنين الجـذع وشـكوى الغزال فابتسمت وقلت كل هذا وغــيره من أحـــاديث المعجـــزات فى عهـــد محمد(ص)يخالف قوله بسـورة الإسـراء "وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون "ومن ثم فالله منـع الآيـات وهى المعجـــزات عن محمـــد(ص)لأن الأقـوام لم يصـدقوا بمعجـزات الرسـل (ص)قبلـــه ومن ثم فلا فائـــدة من إعطاءها له فقال لقد عرفنى سـهل أن

الصـوفية تظهـر الخـوارق على أيـديهم وأنهم يتصـــرفون فى عـــالم الطبيعـــة بالأسـماء الحسـنى والكلمـات الإلهيـة الناشـــئة عن الحـــروف المحيطة بالأسرار السارية فى الأكـوان قلت له كلام باطـل بـدليل أن الصـوفية المنتسبون للإسلام كثرة ومع هذا تــرى المســـــلمين مهـــانين أذلاء يحكمهم الظلمة كما يحكمهم ويحتل بلادهم أهل الأديان الأخرى فلو كانوا يقــدرون على شىء لمنعوا هذا الهـوان والـذل فقـال صدقت يا ولـدى ومن أعجب مـا علمـنى وحفظنى قصيدة نسبها للعالم السـبتى تسمى زايرجة العالم وادعى أنها تظهـر الغيب فقلت كمـــا قـــال تعـــالى فى القـرآن "لا يعلم الغيب إلا اللـه "فقـال صدقت فقلت وماذا تقول هذه القصيدة ؟قال :

يقـــول سبيـــــــتى وبحمـــد ربـــه
مصل على هاد إلى الناس أرسلا
محمـــد المبعـــوث خـــاتم الأنبـــــيا
ويرضى عن الصحب ومن لهم تلا
ألا هـــذه زايرجـــة العـــالم الـــذى
تراه يحبكم بالعقـــل قد علا
فمن أحكم الوضـــع فيحكم جســـمه
ويدرك أحكاما تدبرها الــعلا

ومن أحكم الربـــط فيـــدرك قـــــوة
ويدرك للتقوى وللكـل حصلا
ومن أحكم التصـــريف يحكم ســــره
ويقتل نفسه وصح له الــولا
وفى عـــالم الأمـــر تـــراه محققــــــا
وهذا مقام من بالأذكار كـملا
فهـــذى ســــرائر عليكم بكتــــــمها
أقمها ودوائر للحـــاء عدلا
فطــاء لهــا عــرش وفيــه نقوشنــــا
بنظم ونثر قد تراه مجــــدولا
فنســـب دوائــــر كنســــبة فــــــلكها
وارسم كواكبا لأدراجها الـعلا
ونخـــرج لأوتــــار وارســـم حــــروفها
وكور بمثله على حد من خـلا
أقم شـــكل زيـــرهم وســـو بيــــوته
وحقق لها مهم ونورهم جــلا
وحصـــل علومــــا للطــــابع مهندســــا
وعلما لموسيقى والأرباع مثـلا
وســـو لموســـيقى وعلم حروفهــــم
وعلم بالآت فحقق وحصــلا
وســـو دوائــــرا ونســــب حــــروفها
وعـالمها أطلق والإقليم جدولا
أمــــير لنـــا فهـــو نهايـــة دولــــــة
زناتية أيــــة وحكم لها خلا
وقطـــر الأنـــدلس فـــأين لهودهــــم
وجاء بنوا نصـــر وظفرهم تلا

ملـــوك وفرســـان وأهـــل الحكمـــة
فإن شئت نصهـم وقطرهم حلا
ومهـــــدى توحيـــــد بتـــونس حكمهم
ملوك وبالشرق بـالأوفاق نزلا
وأقســـم على القطـــر وكن متفقـــدا
فإن شئت بالروم فالبحرف شكلا
ففتش ويرشـــنون الـــراء حرفهـــــم
وافر سهم دل والطــاء كملا
ملـــوك كنـــاوة ودلـــو القافهـــــم
واعراب قومنا بترقيق أعــملا
فهـــذى حباشـــى وســـند فهرمـــس
وفرس طـطاوى وما بعدهم طـلا
فقيصـــرهم حـــاء ويـــزد جردهـــم
لكان وقبطيهم بلامة طـــولا
وعباســـي كلهم شـــريف معظـــم
ولا كن تركى بذا الفعل عطـلا
فـــإن شـئت تـدقيق الملـوك كلهـــم
فختم بيوتا ثم نسب جـــدولا
على حكم قـــانون الحـــرف وعلمهـــا
وعلم طبائعها وكله مثـــلا
فمن علم العلـــــوم بعلم علمنـــــــا
ويعلم أسرار الوجود وأكمــلا
فيرســـخ علمـــــه ويعـــرف ربـــه
وعــلا ملا حيم بحا ميم فصلا
قـاطعت العم يكفى هـذا فهـو كلام فى معظمــه باطــل فلا أحــد يعلم أســرار الوجود من الخلق وإن هذا الرجل يشـير

في كلامه لما يسمونه علم الرمز والكتابة السرية والشيفرة فما يقوله هو ألف بائية سرية تستبدل فيها الحروف بكلمات أو ما شابه هذا فقال العم:يا ولدى إنها قصيدة تزيد على المائة بيت وفيها مدح لبعض من نسب للتصوف كذى النون والجنيد حيث يقول:

أيا طالب السر لتهليل ربه
لدى أسمائه تصادف منهلا

تطيعك أخبار الأنام بقلبهم
كذلك رسهم وفى الشمس أعملا

ترى عامة الناس إليك تفندوا
وما قلته حقا وفى الغير أهملا

طريقك هذا السيل والسيل الذى
أقوله غيركم ونصركوه اجتلى

إذا شئت تحيا فى الوجود مع التقى
ودينا متينا أم تكن متوصلا

كذى النون والجنيد مع سر صنعته
وفى سر بسطام أراك مسربلا

فبطشك تهليل وقوسك مطلع
ويوم الخميس البد والأحد انجلى

وفى جمعة أيضا بالأسماء مثله
وفى اثنين للحسنى تكون مكملا

وفى طائه سر وفى هائه إذا
أراك بها مع نسبة الكل أعطلا

وساعة سعد شرطهم فى نقوشها
وعود ومصطكى بخور تحصلا
وتتلو عليها أخر الحشر دعوة
والإخلاص والسبع المثانى مرتلا

قلت يا عم إنها دعوة للبعد عن العمل والإلتزام بالكلام مع عمل الخزعبلات بالتفاؤل ببعض الساعات وإيقاد العود والمصطكى وقراءة بعض القرآن للطاعة أى للعمل به وليس للعبث واللهو فقال المهم أدخلنى فى متاهات كثيرة فعلمنى أيضا أن الله هو حبيبنا ومن يحبه الله يكون معه واحدا وتمثل ببيتى شعر قالهم لى قلت وما هما قال

أنا من أهوى ومن أهوى أنا
نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتنى أبصرته
وإذا أبصرته أبصرتنا

فضحكت وقلت سبحان الله عن الحلول ولو سرنا مع القول الذى قاله لقلنا فإذا ضربتنى ضربته وإذا جلدتنى جلدته ولو كانت امرأته لقلنا لو نكتها نكته والعياذ بالله وكل هذا جنون فقال العم ومع هذا كان أحيانا يقول الحق كقوله عن بعضهم :

تعصى الإله وأنت تظهر حبه
هذا لعمرى فى الفعال بديع

لـــو كـــان حبـــك صـــادقا لأطعتـــه
إن المـحب لمن يحب مطيع

قلت هذا هو الحق .

بعـد هـذا اللقـاء مـع العم بـدأنا تنفيـذ خطتنـا للقضـاء على العصـبة الظالمـة حيث بدأنا بعمليات قتل عشوائية لبعض رءوس القـوم خاصـة رؤسـاء العسـس ورؤساء الجند وكانت هذه العمليات تتم وكأنها عمليات قتل فى شجار عـادى أو قتل فى مطاردة المجـرمين وبعـد هـذا اتفقنـا على تنفيـذ القضـاء على عصـبة الشر فى الليلة الأولى من عيـد الفطـر حيث يقيمـون الليـالى الملاح احتفـالا بطلوع روح شـهر رمضـان وفيهـا تقـام الراقصـات بعروضـهن الخليعـة وتغـنى المغنيـات والحاشـيات وتـراق الخمـور وتنسـاب فى كئـوس القـوم وكـانت الضربة قائمة على أساس إشعال حريق كبير فى أحـد جـوانب القلعـة حـتى يتم شـغل أكـثر العسـس والعسـكر بإخمـاد الحريق وتكون الفرصـة سـانحة لضـرب العصبة الـتى لن تـترك الحفلات والـتى سيكون عدد قليل من الجند يحرسـونهم قليل وفى الليلة الموعودة عندما بـدأت الحفلـة تم إشـعال النـار فى الجـانب الشـمالى من القلعـة ودخلنـا ولمـا بـدا الـدخان يظهـر للقاعـدين فى الخلاء

وتأججت النيران على البعد أمـر الـوالى العســاكر والعســس بالــذهاب لإطفــاء الحريـق فأطـاعوا الأمـر بحيث لم يتبـق مع الوالى وقادة الجند والقاضى وقائــد الشــرطة وبعض رؤســاء الــدواوين إلا حوالى عشرين جنديا وعلى الفور بــدأنا الإنتشار كان كل واحـد مكلـف بالـذهاب والوقوف خلـف جنـدى وطعنـه بسـكين حتى المـوت وفعلا فى دقـائق تم قتـل الجنود وعلى الفور أقفلنا القاعــة على من فيها وبدأنا فقتلنا الوالى والقاضى والقـادة ورؤســاء الــدواوين ثم جمعنــا الجثث ووضـعناها فى إحـدى الحجـرات وحبســنا النســاء ومن كــان فى القاعــة فيها ووضـعنا عليهـا حـرس من الخـارج وعلى الفــور اتجهت فرقتــان لمكــان الحريق وكان الغرض هـو تجريـد الجنـود من السلاح وسـاعدنا على هـذا أن كثـير منهم نتيجــــة حملهم للــــدلاء خلعــــوا سلاحهم وبزاتهم الثقيلـة ورموهـا على الأرض ومن ثم كفونــــا شــــر القتــــال العظيم ومن ثم أخذنا أسلحتهم وحاولنا بشــتى الطــرق الممكنــة أخــذ ســلاح بقيتهم دون قتــال وقــد نجحنــا نجاحــا كبيرا ولم يحدث سوى قتال صغير قتــل فيــه حــوالى 20 جنــديا واستشــهد من جنودنــا خمســة وأصــيب من الجــانبين

حــوالى 90 المهم أننــا اســتولينا على القلعــة وبــدأنا فى توزيــع أنفســنا على البلــدة كشــرطة وجنــود جيش وأصــدرنا أوامرنــا للعــاملين فى الــدواوين بســير العمــل كمــا هــو مــع إعطــاء النــاس حقوقهم وفى بدايــة الأمــر كــانت حــال البلدة كأنها فوضى الناس البسطاء فى ذهول ،أذناب عصبة الشــر بعضــهم لــزم بيته والبعض الأخر فر هاربا من عقابنــا على ما فعل من مساعدته للعصبة على الإثم والعــدوان وكــان الســبب فى هــذا الحال هو تــرك النــاس للإســلام وإقامــة دواوين على هــواهم مثــل ديــوان المكــوس والعشــور ودواوين الإنشــاء والغناء وعلى المصلحين وقع عبء كبير فكــان لابــد من إلغــاء هــذه الــدواوين الظالمة الضارة وإقامة الــدواوين الــتى نص عليها الوحى كديوان أمــة الخــير أى الحســبة وهم من يــأمرون بــالمعروف وينهــون عن المنكــر تطبيقــا لقولــه بســورة آل عمــران "ولتكن منكم أمــة يدعون إلى الخــير ويــأمرون بــالمعروف وينهــون عن المنكــر "وكــديوان الجهــاد فى ســبيل اللــه الــذى ســموه ديــوان الجيش الذى كان مهمتــه إخافــة النــاس وليس الدفاع عنهم ضد أعــداء دين اللــه وبعد فترة اســتقرت الأمــور فى البلــدة

ومـا حولهـا من التوابـع بعـد أن أقمنـا بعمـل الـدواوين اللازمـة لتطـبيق حكم الله ولكن كان هنـاك خطـرين يتربصـان بنـا أولهمـا أعـداء الـداخل وهم الـذين سـاءهم العـدل من أنصـار عصـبة الشـر وثانيهمـــا أعـــداء الخـــارج من الـــدول والسلطنات التى رأت فى عملنا زلــزالا سيصيبهم مثلـه معظمهم وكـان ديـدننا هـو إظهـار الحـق لـذا سـارعت محـاكم البلدة لإستدعاء من يخالفون حكم اللــه فلم يستجب أغلبهم للإستدعاء ولـذا تم القبض على معظمهم وفـــر البـــاقون خـارج نطـاق ولايتنـا وكـان ديـدننا هـو إظهـــار الحـــق لـــذا عقـــدت المحـــاكم جلســـاتها فى الميـــادين وفى حضـــور جمـــوع من النـــاس وكـــانت المحاكمـــة الأولى للتجـــــــار وبعض من تـــــــولى المســـــئوليات الكبـــيرة فى مختلـــــف الدواوين وفيهـا ظهـر للنـاس أن هنـاك إتفاق بين التجار والحكام وأهل الفتوى الضــالة على إســتغلال أمــوال النــاس وأخذها بالباطـل واعـترف الكثـير منهم بما فعل خوفا من القتـل وتعهـدوا بــرد الأمـــوال ولكن لم يتم الأخـــذ بالتعهـــد وســـارعت الجنـــد لـــبيوتهم وقصـــورهم وأخذت ما فيها من أموال ووضعتها فى بيت المال وأما المحاكمة الثانية فكانت

لبعض الصوفية وكانت التهمة الموجهــة لهم هى إضلال الناس ومخالفـة أحكـام الإسـلام وقـد بـدأت المحاكمـة بسـؤال القاضى لهم لمـاذا تعبدون اللـه فقـال أحمـد الـروذ بـارى ليس خوفـا من نـار جهنم ولا طمعا فى الجنة ولا رجـاء فى الجنة وإنما نعبده لذاته فقـال القاضـى إذا أنتم أحســن من النــبى (ص)الــذى طالبه الله أن يعلن خوفه من عذابه إن هو عصى حكمه فقال بسـورتى الأنعـام والزمر "قل إنى أخـاف إن عصـيت ربى عذاب يوم عظيم "وأنتم أفضل من كــل المسلمين الذين الله أى يعبدونـه خوفـا من عذابـه وطمعـا فى جنتـه وفى هـذا قـال تعـالى بسـورة السـجدة "تتجـافى جنــوبهم عن المضــاجع يــدعون ربهم خوفا وطمعا "عنـد هـذا قـال سـهل من يعبد الله بعـوض فهـو لـئيم كـأن يعبـده لطلب جنته أو لخوف نـاره بـل العـارف يعبـده لذاتـه فقـط فقـال القاضـى إذا فمحمـد (ص)وكـل الرسـل والمسـلمين كانوا لئاما لأنهم عبدوا اللــه فحـتى من عبدهم الكفار وجعلـوهم آلهـة كعيسـى (ص)وعــزرا(ص)والملائكـــة والرهبـــان والأحبار كـان يرجـون رحمـة اللـه وهى جنتـه ويخـافون عذابـه وفى هـذا قـال تعـالى بسـورة الإسـراء "أولئـك الـذين

يدعون يبتغون إلى ربهم الوسـيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه "فقال عارف السندى إن العارف لا يتقى النار لأن نار الفراق إذا استولت ربما غلبت النار المحرقة أجسامهم فإن نار الله الموقدة هى نار الفراق التى تطلع على الأفئدة ونار جهنم لا شغل لها إلا مع الأجسام وألم الأجسام يستحقر مع ألم الفؤاد وكما قال شيخنا :

وفى فؤاد المحب نار جوى
أحر نار الجحيم أبردها

فقال القاضى كذبت ففى سورة الهمزة لم يذكر الله نار الفراق وإنما ذكر النار التى هى جهنم بدليل أنها مؤصدة والقوم مربوطون فى عمد ممددة والربط لا يكون إلا مع الأجسام ثم إن الله ذكر عذابه هذا للهمزة اللمزة الذى جمع المال وعدده حاسبا أن ماله يبقيه ثم إن من لا يتقى النار يكون كافرا شقيا لأنه يصلى النار كما قال تعالى بسورة الأعلى "ويتجنبها الأشقى الذى يصلى النار الكبرى "عند ذاك قال واحد منهم لقد خضنا بحرا وقفت الأنبياء بساحله فسأله القاضى أى بحر هذا ؟فقال الصوفى إن الله ميزنا بالكشف والكرامات فابتسم القاضى

إذا أظهـروا كرامـاتكم فقـال الصـوفى بعضنا يمشى على النار وبعضنا يمشــى على المـاء وبعضـنا يخـرج من ملابسـه المـال والمسـك وبعضـنا يحـول الـذهب لحديـد فقـال القاضـى ومـا كرامتـك يـا عمنـا فقـال المشـى على النـار فقـال القاضى إذا أثبت هذا وسـأكون أول من يتبعـك فقـال موافــق فقـال القاضــى للعسـكر أشـعلوا النـار على لـوح حديـد فأشعل العسكر النار حوالى ساعة على لوح الحديد وجعلوا الأرض حوله جافة لا أثر للماء فيهـا ولمـا ظهـر وهج الحديـد قال القاضى للصوفى هيـا تقـدم وأرنـا كرامتك .

تقـدم الصـوفى خطـوات ثم وقـف ولم يحرك ساكنا فقـال القاضـى هيـا تقـدم ولكن الرجل لم يتقدم لأنه يعرف تمامـا أنه سيحترق تمامـا من قدميـه لـو خطـا على لـــوح المعـــدن وعنـــد هـــذا قـــال القاضــى ليس المعــدن كــالجمر الــذى تحيط به الأعشاب المبللة بالمـاء عنـدما تضع قـدمك على سـطح الجمـر تطفىء النار على السطح ويعلق برجلك الـتراب مكونا طبقة تحميك دقيقـة أو أكـثر من المشى ثم أمر القاضى العسـكر بإيقـاد الجمـــر ووضـــع المـــاء حـــول الأرض المحيطة به ثم تقدم وقال للصوفى هـا

أنا ذا أمشى على النار ومـع هـذا لسـت من أصحاب الكرامات وعاد القاضى مرة أخــرى لمجلســه وقــال من منكم يريــد إثبات كرامته عند هذا تقدم سهل وقال أنـا سـأثبت للكـل كرامـتى فسـأله ومـا كرامتــك ؟رد إخــراج المــال والمســك فقال القاضى للعسكر أحضروا ملابسـه وبالفعـل خلـع الجنـد ملابسـه وألبسـوه ملابسا جديدة فقـال القاضـى تقـدم يـا سهل واخرج لنا مالا أو مسكا لم يتقـدم سهل ولم يستطع أن يخرج شيئا فقـال القاضــى هيــا يــا رجــل وسأصــدقك إن فعلتهــا وأكــون مريــدا لــك فلم يحــرك ســهل ســاكنا فوقــف القاضــى وقــال للعســكر احضــروا الخرقــة فأحضــروا فأمسكها وقال اشهدوا يا قوم ثم قلب الخرقــة فوجــدوا فيهــا مــالا وقطعــا للمسك فى أمـاكن مخفـاة فيهـا وقـال القاضـى هيـا من لديـه كرامـة يـا قـوم فليتقــدم ولم يتقــدم أحــد لأن القــوم علمـوا أن القاضــى سيكشــف الآلاعيب الــتى يســمونها كرامــات والــتى تقــوم على العلم ببعض علـــوم المخلوقـــات والمعادن والجماد لذا قال القاضى

حكمنــا على كـــل من حضــر هنــا من الصـوفية بالتوبـة إلى اللـه ممـا عملـوا ومن لم يتب منهم يعتـــبر مرتـــدا عن

الإسلام ويقتل بعد أن يستتاب ثلاث مرات فى ثلاث أيام مختلفات غير متواليات وعلى بيت المال إيجاد اعمال للصوفية الرجال ليعملوا بها ومن يرفض العمل يستتاب ثم يقتل ما لم يكن عاجزا عن أى عمل ويتم تحويل التكايا والخوانق إلى مساجد أو مدارس أو مخازن أو متاجر حسبما يسمح بنائها

بعد حكم القاضى تاب على الفور عدد كبير منهم فتم تسجيل الأسماء وذلك حتى يتم إيجاد عمل لكل منهم وأما من لم يتب فكان يعد على أصابع اليدين وتمت إستتابتهم بعد ذلك فلما وجدوا إصرارا على تنفيذ حكم الله فيهم تابوا وقد وكلنا توبتهم إلى الله لأنه لا يعلم ما فى الأنفس سواه وفى نفس وقت عقد المحاكمات كان الجيش يتم تدريبه وانضم الكثير من الشباب إلى الجيش وكان العدوان على ولايتنا سريعا من الأعداء الذين ينتمون للإسلام بالأسماء وإن كانوا فى الحقيقة كفارا وقد نجح المجاهدون فى رد العدوان والدخول لأرض جديدة حيث رحب الناس بهم وثاروا ضد الولاة والأمراء الذين يحكمونهم ومع هذا لم يسكت الأعداء فتحالفوا مع النصارى وملكهم وقاموا

بالعدوان مرات ومرات وفى كل مرة كنا نرد العدو على أعقابهم خاسرين وبدلا من أن يحتلوا شبرا من أرضنا كان المجاهدون والناس فى أراضى الخاسرين يقومون بالثورة ضدهم وينضمون لدولة الحق .